العلاج الأسري بالفن

Family Art Therapy

ا.د/ مصطفى محمد عبد العزيز حسن

أستاذ علم النفس، ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين

كلية التربية الفنية – جامعة حلوان.

مشكلة البحث:

إن حياتنا تبدأ وتتكشف داخل سياق الأسرة. هذا السياق الذي يشكل نمونا وفي أغلب الحالات يدعمه. كثير من الأديان كانت تمثل المنبع لقيم الجماعة والمشاركة علي مدي قرون طويلة. ومع ذلك فقط منذ الحرب العالمية الثانية. ظهر العلاج بالفن الأسري. علي أنها كيفيات علاجية بارزة مرت بتعديلات كثيرة. فالمحور هنا يتحرك في اتجاه متصاعد فيما وراء النظام المغلق للذات وصراعاتها إلي نظام أو أكثر أكبر حجماً ومفتوح والذي فيها لشخص يكون مجرد جزء. " إن المريض الفرد ينظر إليه من منظور إرتباطي العلاقة علي أساس العلاقات الأولي مع آخرين لهم أهمية في حياته والأدوار الشعورية المفترضة له داخل الأسرة. (Klein, Bernard, & Singer, 1992, P.16) والبحث الحالي يلقي الضوء علي العلاج الأسري بالفن من خلال المحاور التالية:

(١) تاريخ وتطور العلاج الأسري والعلاج الأسري بالفن حتي اليوم وأهم النظريات المرتبطة في هذا الموضوع.

(٢) المفاهيم المحورية للعلاج الأسري بالفن.

(٣) أهم المناهج أو الأساليب المستخدمة في العلاج الأسري بالفن.

(٤) نموذج للعلاج الأسري بالفن (دراسة حالة).

هدف البحث:

الكشف عن مدي إمكانية العلاج الأسري بالفن.

فرض البحث:

توجد علاقة إيجابية بين الفن والعلاج الأسري حيث يلعب الفن دور المتغير المستقل الذي يؤثر ايجابياً في العلاج الأسري.

منهج البحث:

يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي بصورة الارتباطية والمسحية ودراسة الحالة.

Family Art Therapy

* Dr. Mustafa Mohamed Abdel Aziz Hassan,
Professor of Psychology, and the subject of analyzing the artistic expression of children's and adult arts - Faculty of Art Education - Helwan University.

Research problem:

Our lives begin and unfold within the context of the family. This is a context that shapes and, in most cases, supports our growth. Many religions have been the source of community values and participation for centuries. However only since World War II. Family art therapy appeared. However, they are notable therapeutic modalities that have undergone many modifications. The pivot here moves in an upward direction beyond the closed system of the self and its conflicts to one or more larger, open systems in which a person is merely a part. "The individual patient is viewed from a relational perspective based on initial relationships with others who are important in his life and the emotional roles assumed within the family. (Klein, Bernard, & Singer, 1992, p. 16) The current research sheds light on family therapy with art through the following axes:

1. The history and development of family therapy and family therapy with art until today and the most important theories associated with this subject.
2. Pivotal concepts of family therapy with art.
3. The most important approaches or methods used in family therapy with art.
4. A model of family therapy with art (case study).

Research Objective:

Revealing the possibility of family art therapy.

Research hypothesis:

There is a positive relationship between art and family therapy where art plays the role of an independent variable that positively affects family therapy.

Research Methodology:

The current research follows the descriptive approach in the form of correlation, survey, and case study.

مشكلة البحث:

إن حياتنا تبدأ وتتكشف داخل سياق الأسرة. هذا السياق الذي يشكل نمونا وفي أغلب الحالات يدعمه. كثير من الأديان كانت تمثل المنبع لقيم الجماعة والمشاركة علي مدي قرون طويلة. ومع ذلك فقط منذ الحرب العالمية الثانية. ظهر العلاج بالفن الأسري. علي أنها كيفيات علاجية بارزة مرت بتعديلات كثيرة. فالمحور هنا يتحرك في اتجاه متصاعد فيما وراء النظام المغلق للذات وصراعاتها إلي نظام أو أكثر أكبر حجماً ومفتوح والذي فيها لشخص يكون مجرد جزء. " إن المريض الفرد ينظر إليه من منظور إرتباطي العلاقة علي أساس العلاقات الأولي مع آخرين لهم أهمية في حياته والأدوار الشعورية المفترضة له داخل الأسرة. (Klein, Bernard, & Singer, 1992, P.16) والبحث الحالي يلقي الضوء علي العلاج الأسري بالفن من خلال المحاور التالية:

(١) تاريخ وتطور العلاج الأسري والعلاج الأسري بالفن حتي اليوم وأهم النظريات المرتبطة في هذا الموضوع.

(٢) المفاهيم المحورية للعلاج الأسري بالفن.

(٣) أهم المناهج أو الأساليب المستخدمة في العلاج الأسري بالفن.

(٤) نموذج للعلاج الأسري بالفن (دراسة حالة).

هدف البحث:

الكشف عن مدي إمكانية العلاج الأسري بالفن.

فرض البحث:

توجد علاقة إيجابية بين الفن والعلاج الأسري حيث يلعب الفن دور المتغير المستقل الذي يؤثر ايجابياً في العلاج الأسري.

منهج البحث:

يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي بصورة الارتباطية والمسحية ودراسة الحالة.

وفيما يلي عرض لنقاط البحث:

أولاً: تاريخ العلاج الأسري : History of Family Therapy

إن العلاج الأسري (Family therapy) له جذور في الخدمة الاجتماعية (Social Work)، والعلاج النفسي التحليلي (Psychoanalytic Psychotherapy) وفي البحث الحالي سيتم التركيز علي المجال الثاني، ففي مطلع القرن العشرين أعلن "Sigmund Freud" عن نظرية " الأغواء"

"Seduction"، وكان ذلك يمثل تحولا فعالاً في محور مجتمع التحليل النفسي، بعيداً عن الأحداث الفعلية والعلاقات داخل الأسر، ونحو دراسة الحياة العقلية الداخلية النامية للطفل[١].

إن ارتباط الحياة الفعلية الأسرية الحادثة لم يعد يجذب احتواء التخيل والبحث الدقيق لمعظم المعالجون النفسيون حتي منتصف القرن العشرين. ففي الخمسينات بحث المحلل النفسي "Nathan Ackerman" علي علاج الأسر ككل في حالات الأطفال نفسياً (Ackerman & Sobel, 1950) وقد شارك أيضاً بعض الأطباء النفسيون المدربون علي التحليل النفسي في الخمسينات في أبحاث عيادية حول أسباب مرض الشيزوفرينيا ودلالاته، ومن بين هؤلاء الأطباء النفسيون "Murray Bowen"الذي كان يعمل في المعاهد القومية للصحة العقلية في ولاية ميرلاند (NIMH)، و"Don Jackson" في مستشفي "Chestnut Lodge" في نفس الولاية.

إن دراسة المرض الأفراد اتسعت لتشمل ملاحظة أسرهم، كما أن الاتصال الأسري أيضاً تمت دراسته في مدي احتمال مساهمته في – إن لم يكن يدعم أو يسبب – أعراض الشيزوفرينيا.

في عام (١٩٥٩) شارك "Don Jackson" كل من عالم الانثروبولوجية "GregoryBateson" والطبيب النفسي "John Weakland" وعالم الاجتماع "Jay Haley" في معهد البحوث العقلية (MRI) في "Palo Alto" في ولاية كاليفورنيا.

في دراسة مدعمة حول قضية طبيعة الاتصال ذاته. وفي هذا التعاون التخيري المبكر، بدأت نظرية جديدة حول أنظمة الأسرة "Family systems" تأخذ شكلا ما لها عن طريق أبحاث "Jackson" التي اهتمت بمرض الشيزوفرينيا، وانجذاب "Bateson" نحو علم مباديء التواصل وضبط العلاقات (دراسة أنظمة المعلومات المغلقة وخواصها الذاتية في التصحيح) (The study of Closed information systems and their self – correcting properties) وانجذاب "Haley" بتقنيات الطبيب النفسي " Milton Ericks on" في إحداث تغير مؤثر من خلال التناقض "Paradox" والتنويم المغناطيسي "Hypnosis" بينما ظل كل من "Bowen" و"Wynne" ملتزمان بالبحث في تاريخ الأسرة كوسيلة لإلقاء الضوء علي النظام الشعوري "emotional systems"، نجد أن مجموعة "MRI" صنعت تحولا مفاهيميا راديكاليا وتحولا منهجيا مع التركيز فقط علي عمليات " هنا والآن" "here– and – now" للنظام الأسري.

---

(1) Barbara S. Sobol, M.A., ART, LPC, Child and Family Art Therapist, Prince George's County, MD Clinical Case Coordinator, Montgomery County Department of Health and Human Services, MD, Adjunct Faculty, George Washington University, Washington, DC, Vermont College, New York University, Director, Washington Art Therapy Studio, Consultant, DC Rape Crisis Center.

أن الرواد في حركة العلاج الأسري قاموا بعمل بناءات تدخل علاجية متطورة للتدخل في والتعديل من أو عمليات أخري في التنظيم للنظام الأسري أو عملياته كخطوات أولية نحو إدخال انماط جديدة وصحية أكثر للتفاعل:

الباحثان: "Jay Haley" (1976)"، و "Loemadanes " (1981)، وهما رأئدان في العلاج الأسري الاستراتيجي، يؤمنان بأن الأسر ممكن أن تلتصق بأنماط تفاعلية تبقي علي سلوكيات المشكلة، ولا يهم ماهية الرغبة المقصودة في التغيير، إن المعالجون الإستراتيجيون استفادوا من التوجيهات الدراماتيكية المتناقضة وصيغ سلوكية ابتكارية أخري لجعل الأسرة تفعل شيئاً ما من أجل حل مشكلة ما خاصة تواجهها والتي في غالب الأحوال تكون مشكلة سلوكية.

في عام (1974) قام الباحث "Salvador MInuchin" بصياغة منهجية في العلاج الأسرية البنائي "Structural Family therapy" في عمله مع الأسر التي تواجهها صعوبات اجتماعية واقتصادية. وهذا الباحث يؤمن بأن المشكلات تظل قائمة طالما تواجدت بناءات الأسرة اللاوظيفية أو العاجزة وظيفياً، ومن هنا فهو يوجه العلاج نحو التغيير في بناءات الأسرة (Nichols & Schwartz, 1998, P.253).

إن معظم العلاجات الجديدة هي علاجات ضد التحليل النفسي بصورة واضحة، حيث النظرة أكبر إلي العلاج قصير الأجل والتركيز علي التدخلات السلوكية إما المباشرة أو المتناقضة، والقصد هنا هو أحداث تغيير في النظام الكلي للأسرة.

في فترتي الستينات والسبعينات تطور العلاج الأسري المبني علي التحليل، ونموذج الأنظمة الجديدة وذلك عبر خطوط منفصلة وظهرا (أو تناولهما في أغلب الأحيان) غير موافقين، ومع ذلك كلتا المدرستين استفادتا من إخصاب فكري عرضي حتمي ومن سيل الأفكار الجديدة.

أن نظرية الأنظمة "Systems theory" في بدايتها تم مراجعتها بواسطة مباديء الحركات النسائية (أنظر علي سبيل المثال "Luepnitz 1988" وبواسطة أفكار أصحاب منهج الإنسانية الاجتماعية (أنظر علي سبيل المثال Arderson 1990)، وهذا ما نتج عنه عودة جزئية للفكرة الذهنية الشخصية، ومستوي أعلي للمشاركة الشخصية والتعاون فيما بين المعالجون والأسر.

أن العلاج الأسري المبني علي التحليل النفسي أكتسب ثراء جديد من خلال تأثير نظرية علاقات الشيء وقدرة البعض في مجتمع التحليل النفسي علي تقدير قيمة الأفكار النظامية البنائية منها والإستراتيجية.

ثانياً: مفاهيم محورية Core Concepts

من بين المفاهيم الناشئة والمباديء في العلاج الأسري، هناك عدد منها بقي قائماً، وبدرجة أكبر أو أقل يميز كل مدارس الفكر النظامي، حتي مع اختلافها، كل من هذه المفاهيم المحورية يصف جانب رئيسي في حياة الأسرة، وهذه الفئات المفاهيمية ممكن أن تكون مفيدة بالنسبة للمعالج بالفن في تنظيم فهمه للأسرة. **ويتم ذكرها كالآتي:**

١- دورة الحياة Life Cycle

طبقاً لكلام الباحثان "Carter, Mc Goldrick" عام (١٩٨٩) وفيما بين كلام باحثون آخرون، فإن للأسرة دورة حياة تنموية طبيعية فيها مراحل قابلة للتعريف والتوقع ونقاط أزمات. فالأحداث والديناميكيات للأجيال السابقة إنما تؤثر بشكل قوي في كيفية تعامل الأسرة مع نقاط الانتقال الخلافي في دورة نموها. فالأسرة التي تشعر بالراحة في مرحلة ما في دورة حياتها (علي سبيل المثال: رعاية طفل رضيع) ربما لا تشعر بالضرورة بالراحة في مرحلة حياتية لاحقة (مثلا التعامل مع وتربية المراهق) والمعالجون من مختلف المدارس ذات التوجه النظامي يدرجون في أعمالهم وأبحاثهم مفاهيم دورة الحياة مستفيدون من خريطة الأسرة الجينية في ثلاث أجيال لها. أو من إعادة تعريف (إعادة صنع الإطار) للمشكلة السلوكية علي أساس تعبيرات دورة الحياة.

٢- السلوك الاتصالي Communication / Behavior

من البديهيات في العلاج الأسري هو أن كل السلوك- سواء اللفظي وغير اللفظي – نشيط أو سلبي، هو اتصال بطبيعته. ففي داخل نظام الأسرة: ينكشف الاتصال بطريقة دائرية "Ctrcular" أو تكرارية الحدوث "Recursive manner" بدلا من شكل المسبب – الأثر الخطي أو البسيط. فالأسر تميل للتجارب والتعامل مع الانحرافات غير المريحة أو غير المقبولة من أنماطها السلوكية الاعتيادية الدوارة (المحتمل عاجزة وظيفياً) (Ossibily dysfunctional) بأن تشرع في تفاعلات تحاول إعادة العضو المنحرف مرة أخري أو السلوكيات المألوفة ا لمعروفة بـ "الارتداد الأسري" (the homeostasts principle) ، وتحدث الأزمة عندما تفشل الاستجابات الآتية للأسرة في تصحيح السلوك المنحرف (deviant behavior)

٣- الهيكل البنائي: structure

لكل أسرة هيكل نهائي مميز يحتوي علي القواعد الضمنية التي تحكم العلاقات الشعورية داخل الأسرة. علي سبيل المثال، الحدود الشعورية والنفسية داخل أي أسرة، جزء في بنائها، وجزئياً يحدد أية تفاعلات أو سلوكيات مقبولة أو غير مقبولة داخل الأسرة. والمعالج الأسري ربما يدعو الأسرة إلي التفاعل فيما بين أفرادها علي طبيعتهم كما يحدث في المنزل من أجل ملاحظة بنائها علي الطبيعة.

٤- الحياة اللاشعورية للأسرة: Unconscious Life of the Family

لكل أسرة حياة لاشعورية فكرية ذهنية من الارتباطات والأفكار والشعوريات والتعبيرات عن الذات وعن الآخرين، التي تحدث خبرتها داخلياً داخل نفس كل فرد فيها. وهذه الممارسة اللاشعورية بلا شك تؤثر بشكل ظاهر في" هنا والآن". وربما بشكل كبير تحدد بناءات معنية تنشأ داخل الأسرة وكيفية التعبير عن الشعوريات وكيف تمر خبرة العلاقات داخل الأسرة. إن شبكة المظاهر الداخلية والتوقعات والأمنيات ممكن أن تربط أفراد الأسرة ببعضهم البعض بشكل صحي أو غير صحي. والمعالجون الذين يطبقون هذا المبدأ محتمل أنهم استكشافيون في عملهم مع الأسر وابتكاريون بقصد إظهارهم للجوانب اللاشعورية لعملية الأسرة داخل الوعي بالتأمل أو الانعكاس.

ثالثاً: تطور العلاج الأسري بالفن: Development of family Art Therapy

ربما يقال أن العلاج الأسري بالفن قد بدأ مع أعمال وكتابات Hanna Yaxa Kwiatkowska عام ١٩٧٨ والتي كانت تعمل معالجة بالفن في "NIMH" من عام (١٩٥٨) حتي عام (١٩٧٢) والتي عملت أيضاً متعاونة في بعض الأبحاث ولأعمال مع "lyman Wynne" وكجزء من بحث Wynne عن المراهقون المصابون بالشيزوفرينيا، قامت بصياغة منهجية تحت عنوان "تقييم الفن الأسري" (Family Art Evaluation) "FAE" والتي تمثل شكلا معدلا للتقييم التشخيصي للأفراد لـ Elinor Ulman عام (١٩٦٥) . أيضاً ابتكرت هذه الباحثة نماذج للعلاج الإضافي بالفن وللعلاج بالفن كعلاج أولي للأسر. كما أنها أيضاً قامت بتدريب عدد من المعالجين بالفن في (NIMH) وفي جامعة جورج واشنطن بمن فيهم هؤلاء الذين أسسوا العلاج الأسري بالفن في مركز (Watter Reed Army) الطبي والذي فيه مازال يستخدم نموذج تحليلي للعلاج الأسري بالفن.

بعد التقييم الذي قدمته "Kwiatkowska" تطورت تقييمات فنية كثيرة أخري للأسرة ككل وللأزواج (Landgarton .1987) و (Wadeson .1971) ثم للأسرة التي لديها أطفال صغار (1974, Rubin & Magnussen) وآخرون مثل consoli الذي عدل في استخدام Kwiatkowska "FAE" عام (١٩٩٤) ، وفي عام (١٩٨٩) أقر رسميا بمنهجية تحمل إسم " العلاج الأسري بالفن" من جانب الجمعية الأميريكية للعلاج بالفن في مؤتمرها السنوي كامل العدد "AATA" وبحلول منتصف التسعينات أقامت AATA ندوة إقليمية عن العلاج الأسري بالفن لتدريب المعالجون بالفن في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية.

رابعاً: العلاج الأسري بالفن اليوم : Family Art therapy Today

إن المعالجون الأسريون بالفن يمزجون ما بين الالتزام باستخدام التعبير البياني للتحفيز علي الشفاء النفسي

(Graphic expression to promote psychological healing) والارتقاء والنمو للتفكير بشكل خاص growth with a commitment to thinking systemically، فمع فهم دلالات العميل المرضية علي إنها ترتبط جوهريا بالديناميكيات الحادثة في بيئته الحميمة المحيطة به، فإن المعالج الأسري بالفن يعمل علي إشراك بعض من أو كل أفراد أسرة العميل في عملية صناعة الفن مع هدف علاجي هو إحداث تغيير مبتكر من خلال النظام الأسري.

في تتبع تطور عملها كمعالجة بالفن تقترح Shirley Riley (1994) أن العلاج بالفن هو كيفية إنسيابية الممكن تطويعها لمعاونة أي عدد من المناهج النظرية في العلاج الأسري. فيم يتعلق بتزايد الأفكار والتقنيات في كل من العلاج الأسري والعلاج بالفن فإن النظرة الدقيقة لدورة ما في العلاج بالفن للأسرة أنه يتباين بشكل كبير في كل من المنطق والطرق العملية. علي سبيل المثال " العلاج الأسري بالفن" ممكن أن يصف " علاج الـ ١٨ شهر" لـ Kwiatkowska عام (١٩٧٨) والذي استخدمت فيه الباحثة الفن للبحث في الأحاسيس والعلاقات وصنعت تدخلات علاجية مبنية علي التحليل النفسي للأسرة (PP.137-175) ممكن أيضاً أن يصف " علاج الـ ٦ جلسات" للباحثة (Carol cox) عام (١٩٩٢) والذي فيه استخدمت الباحثة مباديء إستراتيجية مختصرة لتحديد مشكلة خاصة تعرضها الأسرة. بالمثل هناك نموذج لتدخل قصير الأجل في الأزمة لـ (Knesch) عام (١٩٩٣) وهو نموذج يعتمد علي إطار عمل إنشائي اجتماعي أو العلاج القصصي (Riley & Malchiods, 1999) ونماذج أعوام (١٩٨٢) و (١٩٩٤) لكل من (Malchiodi &Riley) والتي تستخدم مباديء التناقض. والعمل الفني المستمر داخل سياق العلاج باللعب (Gil & Sobol, 1999) علي التوالي. ونموذج عام (١٩٩٩) لـ (Doby– Copeland) يمزج بين إدارة الحالة والعلاج بالفن مع الأسر الأميريكية من ذوي الأصول الأفريقية في المدن الشعبية الأميريكية. كل هذه النماذج تقع تحت التعريف الشامل بـ "العلاج الأسري بالفن".

خامساً: استخدام منهج "تقييم فن الأسرة (Kwiatkowska,FAE) في التقييم والعلاج

إن هذا المنهج النظري وإجراءات التقييم للباحثة Hanna Kwiatkowska يستمران في تقديم أساس قوي لعلاج الأنظمة الأسرية مع المراهقين بالإضافة إلي تلك الأسر التي لديها أطفال. إن منهج (FAE) يتيح للمعالج بالفن أن يكتسب فهم للأسرة عبر الأبعاد المحورية الأربعة لحياة الأسرة التي تم ذكرها من قبل . فبينما تتحرك الأسرة من خلال سلسلة من المهام في منهج

(FAE) تظهر " صورة" متعددة الأبعاد توضح الخبرات الارتباطية المتفردة لهذه الأسرة. إضافة إلي ذلك في كل سلسلة مهام في منهج (FAE) تقريبا ممكن للمعالج بالفن المنتبه أن يحدد مكان " المحور الشعوري" emotional center للجلسة العلاجية – لحظة تعريفية أو صورة أو مجموعة من الصور التي تظهر حقيقة عميقة لكنها غير مصورة عن علاقات هذه الأسرة الداخلية.

إن المعلومات التي تنتج من القراءة الجيدة لمنهج (FAE) ممكن أن، تساعد المعالج بالفن في رسم خريطة دورية علاجية تهدف إما إلي بصيرة جيدة أو إحداث تغير في السلوك. وعندما يتحدد المسار العيادي فإن المعالج الأسري بالفن ربما يستخدم منهج غير توجيهي أو ربما ينهل من ثروة التقنيات المبتكرة أو المعدلة للاستخدام مع الأسر بما فيها " جدارية الأسرة" a family mural لـ Rubin أو صورة المجلة الكولاج لكل من (Landgarten; Linesch) وكتاب الأسرة لـ (Junge) ومشروعات الإنشاء لكل من (Schneider, Sobol & Riely) . والحالة التالية تشرح لنا كيف أن الصور المبنية علي مباديء منهج (FAE) أو المأخوذة منه ربما توضح لنا وتكشف عن العلاقات داخل الأسرة وتشير إلي الاتجاه المفترض أن يأخذها لعلاج بالفن منها.

دراسة حالة المراهق: Drrell

يشير تشخيص حالة هذا المراهق إلي توجهه مرتان إلي عيادة الصحة العامة للأطفال والمراهقين خلال عام واحد. وهو ولد متفتح العقل وموهوب يبلغ من العمر آنذاك ١٦ سنة. أميريكي من أصل إفريقي. في وقت إلحاقه للعلاج كان معرض للرفت من المدرسة بسبب سلوكه التجريبي المعارض وضعف أداؤه الدراسي. كان (Darrell) هو الطفل الوحيد لأمه التي أنجبته عندما كان عمرها ١٦ سنة وكان آنذاك حديثة الشفاء من إدمان الكوكايين وتعمل سكرتيرة. كان (Darrell) يقضي معظم الوقت بمفرده في المنزل طوال الأسبوع. وفي الأجازات الأسبوعية كان يقضي وقت طويل في منزل جدية لأمه في مقاطعة أخري. والده كان علي الهامش بالنسبة له في حياته. كانت عائلة والدته شديدة الارتباط بمجتمع الكنيسة. وكونه موهوب في الغناء دائماً ما كان يغني غناء فردي في الكنيسة للترانيم والصلوات الكنسية. أيضاً (Darrell) له تاريخ في اضطراب الانتباه وضعفه. ثلاثة جلسات علاجية فقط عقدت له قبل طرده بسبب سلوكه في المدرسة وتم نقله إلي مدرسة عامة أخري. والجلسة الوحيدة التي حضرتها الأسرة كاملة (الأم والجدة والجد للأم بالإضافة إلي Darrell) دار حوار مؤلم بين الأم والجدة. فبينما كانتا تتناقشان بشأن Darrell بدت الجدة معقدة ويملؤها الغيظ، وبدت الأم غير قادرة عي احتواء انفعال الجدة. واحتمال صفة الرفض الملازمة لها هي في حياتها. فما كان منها أن جعلت هذه الجلسة تنحرف عن المشكلة الأساسية– مشكلة Darrell – نحو مشكلتها هي.

استخدم فريق العلاج النفسي في المدرسة الجديدة التي انتقل إليها "Darrell" نموذج بنائي للعلاج الأسري لدعم قوة الأم كونها رمز السلطة الرئيسية بالنسبة لهذا الولد، ولطلب الجدة تلعب دوراً أقل كثيراً. وعلي الرغم من التفاؤل الذي كان سائداً في البداية. إلا أنه في خلال ثلاثة شهور كان "Darrell" يرفت باستمرار من المدرسة وبعد فترة قليلة انسحب من نظام المدرسة الحكومي في المقاطعة. ومرة أخري تم تحويل الأسرة إلي عيادة "Barbar sobol". وفي مراجعة هذا التحويل الجديد للعلاج، قرأت "Barbara sobol" أنه علي الرغم أن الأم كانت متحمسة لدورها الجديد. إلا أنها لم تستطع أن تحافظ عليه. فبدأت تتغيب عن الجلسات الأسرية العلاجية المطلوبة. وبشكل متزايد. بدأ "Darrell" يعارض معظم قواعد البرنامج الأساسية. وبدا أنه في حين كانت هناك محاولات لإيجاد الحلول للمشكلات. إلا أن المستوي الحاسم للمعلومات كان مفقوداً من جانب الأبعاد الشعورية للعلاقات الأسرية. وبسبب ذلك – ربما – كل المحاولات لحل المشاكل السلوكية كان مصيرها الفشل. فبدأت "Barbara sobol" إخراج الشعوريات المتجمدة والمريرة التي سادت تقريباً الجلسة الأولي للأسرة. في تقرير لاستخدام (FAE) تمنت أن تستخدم هذه الأسرة الفن للكشف عن المزيد من أحاسيسها في شكل رمزي. وفي ليلة هذا اليوم اتصلت بوالدة "Darrel" وجدته تليفونياً كل بمفردها لتخبرها أنهما لا يودان حضور الجلسة العلاجية إن غياب الأم تناسب مع افتراض بأن أي إظهار لمزيد من الأحاسيس محتمل أن يمثل خبرة مؤلمة جداً لا تتحملها الأم.

تم استخدام منهج FAE مع "Darrell" وجدته بمساعدة اثنين من طلاب العلاج بالفن قبل تخرجهما وهما "Cheryl Doby – Copeland & David Howard" وفي جلسة علاجية باستخدام شكل معدل لمنهج (FAE) قام أفراد الأسرة بالعمل بجوار بعضهما ليرسموا علي لوحات رسم متجاورة. كل فرد فيهم يرسم خمس رسومات باستخدام ألوان الباستيل ومحددات اللون الأسود علي ورق رسم أبيض اللون. وكان ترتيب الرسومات الخمسة هذه كالآتي: رسم حر وبورتريه للأسرة إما بأسلوب تجسيدي أو تجريدي ورسم فردي لكل فرد فيهم يعبر عن فرد مستقر من الناحية النفسية ورسم مشترك فيما بينهم – وأخيراً رسم حر.

جلسة "تقييم الفن للأسرة": "The Family Art Evaluation Session" في أثناء هذه الجلسة كان هناك مزاح بين "Darrell" وجدته لكن دونما أن يسمعهما أحد., بالنسبة للمهمة الأولي في منهج (FAE) رسمت الجدة أشكال خطية نحيفة أياديها تبدو ضعيفة بشكل مدهش. أما

"Darrell" كان رسمه ظاهراً وبخطوط سميكة ويبدو أن توجهه التهكمي المازح صارخ الوضوح في هذا الرسم، وأظهر مسافة شعورية من خلال المزاح والرسم. وكان رسمه عبارة عن رجل في حالة مرح يرتدي جونلة حريمي وشعره أشعث وكان عنوانه هو "Wacky Guy" شكل (١)

شكل (١)

استمرت رسومات "Darrell" وجدته بنفس أسلوب المهمة الأولي بدرجة ما في بورتريهات الأسرة، حيث ظلت رسومات الجدة لبورتريهات الأسرة مهتزة وخفيفة الخطوط وذات أشكال تبدو طافية لا تميز أفراد الأسرة إلا بصورة ضعيفة جداً – ما عدا أبنتها والتي أظهرتها تدخن سيجارة. أما بورتريهات الأسرة للولد Darrell (شكل ٢) كانت تفصيلية وذات فردية كرتونية عالية، ومرة أخري حملت تعليقاته نغمة تهكمية، فقد رسم نفسه في ملابس قفزة " هيب هوب hip–hop" وسروال فضفاض مرتدياً نظارة شمس وقبعة بيسبول. وبجواره رسم شكل أصغر حجما لجدته في ثياب بسيطة غير مهندمة. من الناحية الفراغية التعبيرية، الشكلان يمثلان زوج شكل "هيب هوب" ومنفصلا عنهما ببعض البوصات، زوج شكل آخر يمثل أمه وجده، كلاهما في ملابس "هيب هوب". وشكل Darrell هو الوحيد الذي ليس له ذراعين.

إن الرسم المشترك الذي يتطلب عمل أفراد الأسرة مع بعضهم البعض متعاونون متجاورون غالباً ما يظهر مستوي القلق داخل الأسرة. لكن بدلا من ذلك كان من "Darrell" وجدته أن عملا معاً في تنفيذ رسمها. وخفت حدة تهكمه. وعلي الرغم أنه أستمر في مزاحه. إلا أن اندماجه في الرسم زاد بشكل كبير، وساعد جدته في رسم صفحة كاملة لرأس حصان (شكل ٣) تميل لأسفل لتأكل الحشائش لكن رأس هذا الحصان تنظر للمشاهد لها نظرة أمامية قوية مع نصف ابتسامة. بالنسبة لعنوان هذا الرسم " النظرة المطولة" كان بطلب من وجدته، ثم وقعا عليه بإمضاءيهما لكن باسمي الدلع لكل منهما: "Nonny". " Pookie".

شكل ٣

إن التغير الحادث – انخفاض حدة التهكم اللاذع وزيادة معدل الاندماج في مهمة الرسم – استمر حتي آخر الرسومات. إن مهمة الرسم هذه غالباً ما تعمل كرسم اكتشاف أو بالأحري " رسم الاستشفاء" . إن الجدة حاولت تجسيد شكل طائرة في مهمة صعبة بالنسبة لها لتكشف عن مشكلة ما معرفية أو مشكلة ترتبط بالعمر (شكل ٤).

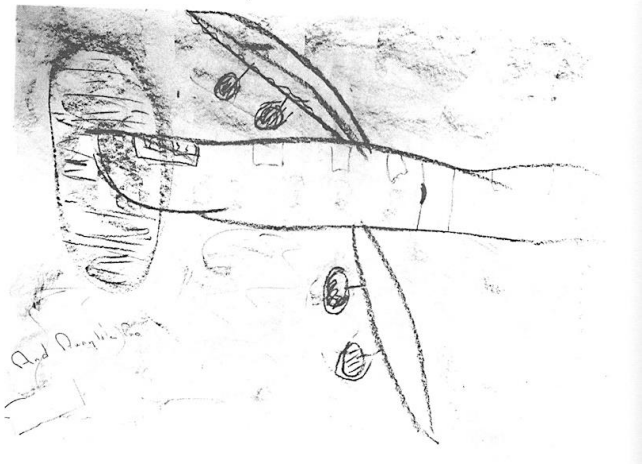

شكل ٤

اما Derrell فقد اخذ وضعية تسمح له بمتابعة رسومات جدته، لذاك استطاع رسم بورتريه لها يتسم بالدقة وذو تفاصيل جديدة (شكل٥).

شكل٥

الاستدلال من الأعمال الفنية Drawing inferences from the Art works

لكي يستطيع المعالج بالفن رؤية العلاقات فيما بين كل الصور وتتبع كيفية بناء هذه العلاقات في أثناء الجلسة العلاجية الفنية، فإنه من المفيد وضع كل الرسومات معلقة علي حائط بحيث يمكن رؤيتها ككل، وفي العادة تبرز من بين هذه الصور ما تمثل استجابة فكرية شخصية قوية. فالعمل نحو بناء فرضية عن علاقات الأسرة يتطلب تجاوب فكري شخصي وملاحظة موضوعية دقيقة لكل من الرسومات والتفاعلات. فالوصف الموضوعي الذي يعطيه المعالج يكشف عن الإرتباطيات الشكلية أو الفرضية في الأعمال الفنية. وملاحظاته الفكرية ربما تساعد في الكشف عن المحور الشعوري للجلسة، اقترحت الرسومات السابقة قضايا ذات ارتباط بالمفاهيم المحورية الأربعة عن حياة الأسرة. والتي تم ذكرها قبل ذلك. باستخدام الاستجابة الفكرية للفن كدليل وتم إعطاء إهتمامًا خاصاً برسومات الأسرة الجماعية ورسومات الحصان والتي حملت قوة دافعة كبيرة بالنسبة للمعالج. وفيما يلي توضيح لهذه الارتباطات كالآتي :

(١) **دورة الحياة** : إن صورة Darrell لأمه (رسومات الأسرة) تجسدها علي أنها في عمر المراهقة وذات توجه يشبه توجهه هو. في دورة حياة هذه الأسرة يبدو أن مراهقة الأم وانتقالها للمرحلة العمرية التالية هو شأن كان يحتوي علي مشكلات لم تجد الحل لها. مكرراً تاريخ أمه فإن "Darrell" نفسه – إذا لم يسمح له باستعمال دراسته – ربما يترك مرحلة المراهقة بصورة غير ناضجة – إذا ربما تحتاج الأسرة لإبطاء هذه المرحلة الانتقالية بالنسبة له، وربما تحتاج لمناقشة نفس المرحلة للأم بكل ما احتوته.

(٢) **السلوك الاتصالي:** بالنسبة للمهام الفنية الثلاثة الأولي ظل Darrell في حالة دفاعية ومتخذا وضعية إنعزالية مكانية، ليس فقط مع فكاهته المازحة ، ولكن أيضاً مع أشكال صورة ووضعياتها، والتي العديد منها يرتدي نظارات شمسية والتي تعمل علي إبقاء المشهد لها في حالة ابتعاد شعوري. في أثناء الرسم المشترك للأسرة ، بدت هذه الوضعية في طريقها للحل . فإستخدامه لأسماء الأطفال– أسماء الدلع – تقترح أنه قريب من جدته جسدياً، هذا التقارب يبدو أنه سمح بظهور الحصان مع نظرته المحملقة المفتوحة والمباشرة. ومتابعة "Darrell" الطيبة لجدته خاصة في المهمة الأخيرة فبينما كان "Darrell" لا يتوقف عن النكات، إلا أنه أثناء الرسم الأخير كان مزاحه يحمل نبرة حزن أو شفقة بمرور الوقت.

(٣) **الهيكل البنائي:** أيضاً تقترح هذه الصور الأسرية وصور الحصان شيئاً ما عن البناء داخل هذه الأسرة. "Darrell رسم أمه وجده ونفسه في مرحلة المراهقة، مع شكل لجدته قريب جداً منه في الخلفية. هذه الوضعية المكانية التي تتبعها مؤانسة وتقارب بين "Darrell" وجدته في صورة الحصان. إنما تقترح أن "Darrell" يستطيع التقرب أكثر إلي جدته لينعم برعاية. بينما يصور أمه مراهقة، ثم بعد ذلك يلغي وجودها نهائياً. إلا أن تشابه جسم ورداء الأم والجدة يقترح العلاقة الإرتباطية لـ "Darrell" مع أمه، إن ضعف وضوح مكان الأم ومكانتها في الأسرة ربما أنه ساهم في حيرة "Darrell" وتصرفاته.

(٤) **الحياة اللاشعورية للأسرة:** إن صورة الحصان والشعور بالارتياح في رسمها إنما هي حالة تقترح الارتباط القوي بين "Darrell" وجدته وتعطي الإيحاء بأن جدته تمثل بالنسبة له البيئة الحاضنة وهو معني لا يعطيه غياب الأم. كما يبين مثل هذا التجسيد والتوصيف اللفظي للأم مدي الأسئلة التي تدور حول دور الأم الغامض وهي تستقبل، من الواضح نظرة غامضة، أيضاً من الجدة، مما يدل علي سوء خبراتها كإبنة لها. وكل رسومات "Darrell" تقترح أنه يعيش معاناة وعدم تأكد من كونه " طفل جيد" أم "مراهق سيء"، فهل هناك إنكشافات أخري تأتي من رسومات الجدة والأم.

(٥) **جلسة المتابعة:** قبل جلسة مهام منهج (FAE) أحست المعالجة أن هناك عدد من القضايا الشعورية في هذه الأسرة لكن لم تستطع تحديدها، هذه القضايا غير مستكشفة لكن في طريقها لإيجاد حلول لها سلوكية جيدة لانفعالات "Darrell" السلوكية، بعد جلسة الرسم ، ظهر واضحاً أن وضع خطة سلوكية جيدة أو أي محاولة لإعادة بناء أدوار الأسرة، ممكن فعله، فالحياة العاطفية للأسرة في حاجة إلي تحديدها وتعريفها.

إن التحول في الجو النفسي للجلسة مع ظهور الحصان، إنما تقترح أن العلاج ينبغي أن يستكشف الأحاسيس والأفكار التي يثيرها الحصان بالنسبة لـ "Darrell" وجدته. عندما طلبت منه أن يتحدث عن الحصان ، إتكأ "Darrell" علي مقدمة الكرسي مغيرا من وضعية إسناد ظهره إلي الخلف طوال الوقت، وقال أن " الحصان" يمثل القوة والروح الحرة والأمان. فعندما أكون مع جدتي، عادة ما أكون سعيدا جداً وشاعراً بالأمان. فعيناها وإبتسامتها يرعياني دائماً. فعندما أفعل شيئاً ما جيداً تبتسم لي، فهي مثل الملاك الحارث، فهي الشخص الوحيد في حياتي الذي آخذ منه الحكمة، فدائماً أبقي معها في كل مرة ألتقيها ودائماً هي في فكري، وبعد هذا الكلام له عاد متكيء علي ظهر مقعده مرة أخري في استرخاء، وناظراً إلي بورتريه والدته الذي رسمه هم من مقعده في حالة فزع ومنفعلا وقال: " ها هو الطريق الذي تسير فيه، لا أستطيع أن أغير منه لذلك لا أبدي أي أسف بشأنها فأتركها وشأنها لكي تبتعد عن حياتي"

(٥) من مهام FAE إلي تخطيط العلاج "From FAE to Treatment Planning": تقترح عالمة النفس Ellen Wachtel عام ١٩٩٤ أنه في المنهج المتكامل في العلاج الأسري، يكون التكوين الديناميكي النفسي بدلا من التشخيص المرضي للطفل أو الأسرة، هو الذي يدعم القدرة علي صنع السلوكيات الجيدة والتدخلات العلاجية النظامية. في هذه الحالة التي تتحدث عنها، فإن الصور الذهنية من منهج (FAE) تتيح للمعالج بالفن فهم الأسرة من وجهة النظر التحليلية وجهة نظر الأنظمة، مما يعطيه مرونة كبيرة في عملية التخطيط للعلاج.

إن جلسة تقييم الفن للأسرة وفرت البيئة الأكثر أمناً لـ "Darrell" ليسترخي في وضعيته ودعوة خياله إلي عمل "حصان" مبتسم في الرسم الأسري المشترك. وفي جلسة المتابعة ظهر أن فعل النظر إلي صورة "الحصان" يثير في داخله كيف أنها صورة رائعة. فقد استطاع أن يسمح لنفسه التعبير عن إعتمادية ظاهرة بالإضافة إلي جهوده من أجل الانتقال إلي مرحلة الرجولة. ومن المدهش أن هذا المراهق المسترخي الأحاسيس وجد الكلمات التي بها يصف إلي أي مدي تكمن في نفسيته صورة جدته الداخلية، وجدها في الصورة التي رسمها لنفسه، أيضاً ظهر أن هذا الشعور بالأمان أكتسبه علي حساب أمه، والتي يبدو أنها كانت غير قادرة علي حضور الجلسة شعورياً. فكل من "Darrell" وجدته حاولا التخفيف من حدة الخسارة أو تجنبها كليتا. فربما كان رفض "Darrell" لوجود أمه علي حالتها هذه في حياته، هو انعكاس لصورة مشابهة عن الأم بالنسبة لجدته، وهذا جانب في هذه الأسرة لم يسبق أن تطرق إليه الحديث من قبل.

باستخدام هذا الفهم كنقطة انطلاق للعلاج الأسري بالفن، استطاعت المعالجة عمل صياغة لهدفين أساسيين للعلاج وتوجه له :

الهدف الأول هو : خلق فضاء علاجي آمن – بيئة حاضنة – ممكن أن تضم أم "Darrell". ودعوة الأم إلي العثور علي طريق لها في لغة الفن في جلسات علاجية فردية ممكن أن يشعرها بالأمان والتوافق في حضور أفراد الأسرة .

الهدف الثاني: هو هدف نهائي وسلوكي، والذي فيه تسعي المعالجة لإثبات قدرة "Darrell" علي التوافق والتوجيه الذاتي في هذه المرحلة العمرية، والإنفعالية السلوكية له فليس مقبولا أن يتجاهل المعالج بالفن الأزمة السلوكية من أجل البحث عن الديناميكيات، وغير مقبول أيضاً تجاهل المعالج لشبكة الشعوريات التي تقف وراء السلوك اللاوظيفي.

ومن ذلك فإن العلاج الأسري بالفن – بعد ذلك – مع استخدام إطاري المرجعية هذين – فإنه ينقل حركة التروس لإظهار الفرصة والحاجة.

References

Ackerman, N. W., & Sobel, R. (1950). Family diagnosis: An approach to the preschool child. *American Journal of Orthopsychiatry, 20*, 744-753.

Allen, P. (1983). Group art therapy in short-term hospital settings. *American journal of Art Therapy, 22,* 93-95. Allen, P. (1992).

Artist-in-residence: An alternative to "clinification" for art therapists. *Art Therapy,* 9(1), 22-29.

Anderson, W. T. (1990). *Reality isn't what it used to be.* New York: Harper/Row. Bion, W. (1959). *Experiences in groups.* New York: Basic Books.

Carter, E., & McGoldrick, M. (Eds). (1989). *The changing family life cycle: A framework for family therapy* (2nd ed.). Boston: Allyn and Bacon.

Consoli, J. (Speaker). (1994). *A three-step family systems approach for assessment, confrontation, and treatment planning* (Audiotape #24). Annual AATA.

Cox, C. T. (1992). *Take back the night: Healing trauma through short-term family art therapy* [Videotape]. Bowling Green, OH: WBGU Television Learning Services at Bowling Green State University.

Deco, S. (1998). Return to the open studio group: Art therapy groups in acute psychiatry. In S. Skaife & V. Huet (Eds). *Art psychotherapy groups* (pp. 88-108). New York: Routledge.

Doby-Copeland, C. (Speaker). (1999). *African-American families in art therapy: A strengths-based approach* (Audiotape #105). Annual AATA.

Gil, E., & Sobol, B. (1999). Engaging families in therapeutic play. In C. E. Baily (Ed.), *Children in therapy: Using the family as a resource,* (pp. 341-382). New York: W. W. Norton.

Haley, J. (1976). *Problem-solving therapy.* San Francisco: Jossey-Bass.

Hill, A. (1945). *Art versus illness.* London: George Allen & Unwin.

Jacobson, M. (1992). Group art therapy with multiple personality disorder patients: A viable alternative to isolation. In E. Kluft (Ed.), *Expressive and functional therapies in the treatment of multiple personality disorder* (pp. 101-123). Springfield, IL: Charles C. Thomas.

Junge, M. (1985). The book about Daddy dying: A preventive art therapy technique to help families deal with the death of a family member. *Art Therapy, 4*, 10.

Keyes, M. F. (1974). The family clay sculpture. *The Arts in Psychotherapy,* pp. 25-28.

Klein, R., Bernard, H., & Singer, D. (1992). *Handbook of contemporary group psychotherapy.* New York: International Universities Press.

Kramer, E. (1958). *Art therapy in a children's community.* Springfield, IL: Charles C. Thomas. Kwiatkowska, H. Y. (1978). *Family therapy and evaluation through art.* Springfield, IL: Charles C. Thomas.

Landgarten, H. B. (1987). *Family art psychotherapy: A clinical guide and casebook.* New York: Brunner/Mazel.

Landgarten, H. B. (1993). *Magazine photo collage: An assessment and treatment technique.* New York:

Brunner/Mazel. Linesch, D. (Ed.). (1993). *Art therapy with families in crisis.* New York: Brunner/Mazel.

Luepnitz, D. (1988). *The family interpreted: Feminist theory in clinical practice.* New York: Basic Books.

Madanes, C. (1981). *Strategic family therapy.* San Francisco: Jossey-Bass.
Martin, E. (1997). The symbolic graphic life-line: Integrating the past and present through graphic imagery. *Art therapy, 14(4),* 261-267.
McNeilly, G. (1983). Directive and non-directive approaches to art therapy. *The Arts in Psychotherapy,*
10, 211-219.
McNeilly, G. (1990). Group analysis and art therapy: A personal perspective. *Group Analysis, 23,* 215-224.
Minuchin, S. (1974). *Families and family therapy.* Cambridge, MA: Harvard University Press.
Nichols, M. P., & Schwartz, R. C. (1998). *Family therapy: Concepts and methods,* 4th ed. Boston-& Bacon.
Rice, A. K. (1969). Individual, group and intergroup processes. *Human Relations, 22,* 565-584.
Riley, S., &Malchiodi,C. (1994). *Integrative approaches to family art therapy.* Chicago: Magnolia Street.
Rubin, J, A. (1978). *Child art therapy.* New York: Wiley.
Rubin, J. A., & Magnussen, M. (1974). A family art evaluation. *Family Process, 13(2),* 185-220.
Skaife, S., & Huet, V. (Eds.). (1998). *Art psychotherapy groups.* New York: Routledge.
Skolnick, S. (1992). The role of the therapist from a social systems perspective. In R. Klein, H. Bernard, & D. Singer (Eds.), *Handbook of contemporary group psychotherapy* (pp. 321-369). New York: International Universities Press.
Slipp. S. (1984). *Object relations: A dynamic bridge between individual and family treatment.* Northvale, NJ: Jason Aronson.
Sobol, B. (1982). Art therapy and strategic family therapy. *American Journal of Art Therapy, 21(2),* 43-52.
Sobol, B., & Schneider, K. (1996). Art as an adjunctive therapy in the treatment of children who dissociate. In J. Silberg (Ed.), *The dissociative child* (pp. 191-218). Lutherville, MD: The Sidran Foundation Press.
Speert, E. (1992). The use of art therapy following perinatal death. *Art Therapy,* 9(3) 121-128.
Sprayregan, B. (1989). Brief inpatient groups: A conceptual design for art therapists. *American Journal of Art Therapy, 28,*13-17.
Ulman, E. (1975). A new use of art in psychiatric diagnosis. In E. Ulman & P. Dachinger (Eds.), *Art therapy* (pp. 361-386). 3New York: Schocken.
Wachtel, E. F. (1994). *Treating troubled children and their families.* New York: Guilford.
Wadeson, H. (1980). *Art psychotherapy.* New York: Wiley.
Waller, D. (1993). *Group interactive psychotherapy.* New York: Routledge.
Winnicott, D. W. (1958). *Through paediatrics to psychoanalysis.* New York: Basic Books.
Yalom, I. (1983). *Inpatient group psychotherapy.* New York: Basic Books.
Yalom, I. (1995). *The theory and practice of group psychotherapy* (4th ed.). New York: Basic Books